المحور الثاني : أهم رواد علم الاجتماع

تمهيد

هناك أربع علماء لا يختلف أي من المشتغلين بعلم الاجتماع – مهما كانت ميوله الخاصة أو نزعاته أو تعصبه – على اعتبارهم الشخصيات البارزة في تاريخ علم الاجتماع الحديث و هم أوجيست كونت، وهربرت سبنسر، أميل دور كايم، وماكس فيبر، وهم يغطون معاً القرن التاسع عشر بأكمله وأوائل القرن العشرين، وفي الحقبة التي تشكل فيها علم الاجتماع الحديث وتحددت معالمه. كما أنهم يمثلون القوميات الرئيسة التي ازدهر فيها علم الاجتماع في بداية عهده، والتي بدأ يتكون فيها تراثه الحديث، وهي فرنسا، وانجلترا، وألمانيا، كما مارس كل منهم تأثيراً شخصياً عميقاً على تصور علم الاجتماع كميدان من ميادين المعرفة غير أننا سنخصص في هذا الفصل جزء هاما لأحد المفكرين البارزين وهو العلامة ابن خلدون الذي كان السباق إلى إرساء قواعد هذا العلم حتى وان لم تنسب إليه التسمية الأولى والظهور الأول لعلم الاجتماع .

1/ ابن خلدون

هو عبد الرحمن ابن خلدون.ولد بتونس سنة 732هـ /1232م حدد بنفسه نسبه اليمني الحضرمي الذي يؤول به إلى وائل بن حجر من قبيلة كندة، ونسب نفسه إلى اسم احد أجداده و هو خالد المعروف بخلدون

نشا عبد الرحمن ابن خلدون في بيت علم وسياسة، وتوارثت أسرته الاشتغال بالقضاء. حفظ القران بالقراءات السبع، و درس الحديث و الفقه الملكي على أبي عبد هللا محمد بن برال، وتلقى علوم العربية و الشعر على والده وعلى مشاهير علماء تونس. ودرس على العلماء المغاربة الوافدين إلى تونس .

بعد فقد والده وشيوخه شقت عليه الإقامة و الدراسة في تونس فتنقل في بلدان المغرب ، رحل ابن خلدون بعلمه إلى مدينة بسكرة حيث تزوج هناك، ثم توجه سنة 1356م إلى فاس حيث ضمه أبو عنان المريني إلى مجلسه العلمي و استعمله ليتولى الكتابة مؤرخا لعهده و ما به من أحداث رحل مرة أخرى غرناطة عام 1363 ومن ثم إلى اشبيلية ليعود بعد ذلك إلى المغرب، جاب معظم البلدان العربية

نشأ في أسرة علم و كان بيت أبيه ملتقى للعلماء و أهل السياسة فاكتسب حب العلم و البحث و حب الجاه و المنصب .و لم يتوقف نشاطه بعد مغادرة بلدان المغرب لإلقامه بالقاهرة، و عمل ابن خلدون في حياته سفي ار و حاجبا و عضوا بمجلس العلماء عند عددا من السلاطين في تونس والمغرب الف كتابه الشهير المقدمة –المشهورة أيضا بمقدمة ابن خلدون– خلال خمسة أشهر قضاها في التأمل و الكتابة و هي الكتاب أو المجلد الأول ضمن أشهر كتبه –كتاب "العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"،الذي يقع في سبعة مجلدات .

يعتبر ابن خلدون من أشهر الفلاسفة العرب، تعتبر المقدمة أهم إنتاج علمي في العصر الإسلامي الوسيط، وتعد ابتكارا فريدا في فلسفة التاريخ و الحضارة و تبدو أصالة أراء ا بن خلدون فيما أورده في المقدمة من قواعد المنهج في البحث و التحقيق و النقد التاريخي و الاجتماعي و السياسي و الثقافي ومن مبادئ التفكير العلمي الذي اهتدى به هو نفسه إلى نظرياته في العمران و حقائق الاجتماع و المعاش و الدولة والسلطة و العصبية، و البداوة و الحضارة، و العمل والإنتاج، و الدين و الأخلاق و علاقة الإنسان بالطبيعة في بيئته من حيث العوامل المادية و الفطرية و غيرها من ما يؤثر في نشأة المجتمع و عمرانه و تطوره ، و لتميز تفكيره و وضوح أرائه و اقتصاره على بحث ما هو واقع من ظواهر التاريخ و العمران يكاد يتفق الدارسون على انه هو واضع فلسفة التاريخ و المؤسس لعلم اجتماع مستقل بموضوعه و منهجه و مسائله. [1]

النظرية الاجتماعية عند ابن خلدون : [2]

جمع ابن خلدون بين التفكير النظري و الأسلوب العلمي مما ساعده على تدوين نظرياته و مشاهداته، كما مكنته تنقلاته و وظائفه من تعميق معارفه و توسيع ملاحظاته و مكنه اطلاعه على الأوضاع عن كثب من تدقيق منهجه في التفكير وأسلوبه في الكتابة. ويمكن تلخيص المقدمة في مجموعه نظريات وأسس وضعها ابن خلدون لتجعل منه المؤسس الحقيقي لعلم الاجتماع على عكس ما يدعيه علماء الغرب أن المؤسس الحقيقي هو الفرنسي أوغست كونت ومن خلال قراءة المقدمة يمكن وضع ثلاثة مفاهيم أساسيه تؤكد ذلك وهي أن ابن خلدون في مقدمته بين ان المجتمعات تسير وتمضي وفق قوانين محددة وهذه القوانين تسمح بقدر من التنبؤ بالمستقبل إذا ما درست و فقهت جيدا.

و يمكن إجمال إسهاماته بتاريخ الفكر الاجتماعي بالنقاط التالية : [3]

- قدم دراسة تاريخية للمجتمع حيث أشار إلى أن المجتمع يمر بثالث مراحل تاريخية متباينة و كل مرحلة حضارية متصلة بالمرحلة الحضارية التي سبقتها .
- قسم المجتمعات إلى أنواع مختلفة وفقا لدرجة تقدمها الحضاري و الاقتصادي و الفني فابرز نوعين من المجتمعات البشرية، الأول هو المجتمع الريفي و سماه مجتمع البدو و الذي يتميز بظاهرة العصبية .أما الثاني فهو المجتمع الحضري الذي يتميز بمستوى اقتصادي عال و بدرجة كبيرة من التقدم الثقافي و الصحي و العمراني
- الحركة الاجتماعية في دورة مستمرة و تؤدي وظيفتها بشكل ألي و دائم

---

[1]- بختة بن فرج الله : إسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية ، مجملة الدراسات والبحوث الاجتماعية– جامعة الشهيد حمل لخضر– الوادي العدد 21 ،مارس 2017 ،.ص: 10.

[2]– المرجع السابق ، ص: 11.

[3]- سمير خليل عبد الفتاح: مبادئ علم الاجتماع، دار أسامة، دار المشرق الثقافي، عمان، الأردن، 2006،ص– ص : 55–56

- الاجتماع الإنساني ضروري لان الإنسان مدني بطبعه و يسير في شرح هذه القضايا على وتيرة أرسطو و الفارابي و يؤ كد على إن عدم كفاية الفرد لنفسه يدفعه إلى التعاون و التشارك في حياة الجماعة .
- لقد كان ابن خلدون يدرس الظواهر الاجتماعية في حالتها الساكنة و المتحركة فكان يدرس الظاهرة و أجزائها و وظائفها و ما إلى ذلك من مسائل الدراسة الستاتيكية الساكنة و يدرس في نفس الوقت تطورها و القوانين التي تخضع لها في هذا التطور .
- اهتم ابن خلدون اهتماما ملموسا بنظم اجتماعية عديدة كالنظام السياسي و النظام الاقتصادي و العلاقات المتبادلة بينهما، كما اهتم بالمقارنة بين المجتمعات البدائية و الحديثة .حيث تحليلاته جاءت حول الأبعاد الاقتصادية ، الثقافية و السياسية للمجتمع من خلال مشروع تحليل علمي للمجتمعات .

كما كانت له آراؤه حول التربية ، السكان ، الدولة والتي هي هي ابرز ما كتب في العالم العربي والإسلامي

2/ أوجست كونت:

هو عالم و فيلسوف فرنسي، كان أول من أطلق اسم علم الاجتماع على هذا العلم " Sociologie" و قد صاغ التسمية من كلمتين يونانية و لاتينية Logos/ Societas، Logos و تعني العلم و Societas و تعني المجتمعات، و بهذا العلم الذي يدرس المجتمع.

كان من أوائل العلماء الذين اهتموا بدراسة المجتمع دراسة تطورية بحيث تتبع المراحل الحضارية التي تمر بها المجتمعات، ندرس صفات و خصوصيات و مشكلات كل مرحلة على انفراد ثم اشتقاق الحلول و القوانين التي تفسر مسيرة المجتمعات و ما يحكمها.

أفكار أوجست كونت :

ساهم هذا المفكر، مساهمة فعالة في دفع الأسس الأولى و الهامة لهذا العلم و كل يرى أن علم الاجتماع لابد أن يتبع نفس أسلوب العلوم الطبيعية في الدراسة، فالحياة الاجتماعية يحكمها قوانين و قسم علم الاجتماع إلى قسمين.

القسم الأول: تهتم بدراسة النظم، البناء الاجتماعي من حيث التكوين و الدور الذي تلعبه في المجتمع و حدد ثلاث عوامل تربطه و هي الدين اللغة، تقسم العمل.

القسم الثاني: يهتم بتطور و تغير المجتمع و تغير المجتمع أي دراسة حالة عدم الثبات التي يعيشها المجتمع.

إضافة إلى هذا وضع قانون التطور الذي يمر به المجتمعات أثناء تغيرها و حركيتها و هو:

- مرحلة اللاهوتية: الارتكاز على الأسس الدينية.
- المرحلة الفلسفية: الاعتماد على التفسيرات الفلسفية و الغيبية في تفسير الظواهر.
- المرحلة العلمية: الاعتماد على التفكير العلمي و استخدام القوانين.

كما اقترح مجموعة من المناهج لدراسة المجتمع و هي: المنهج التاريخي و المنهج التجريبي المستخدم في العلوم الطبيعية الذي يقوم على الملاحظة، التجريب و المقارنة.

على الرغم من أن أوجست كونت كان يرفض تحديد فروع علم الاجتماع بشكل مفصل الا انه كان يرى ان علم الاجتماع ينقسم إلى قسمين رئيسيين هما: الاستاتيكا الاجتماعية، والديناميكا الاجتماعية .

تهتم الاستاتيكا بدراسة شروط وجود المجتمع وهي دراسة كيفية تداخل أجزاء المجتمع وتفاعلها مع بعضها ويقول "كونت" في ذلك "ويتمثل الجانب الاستاتيكي لعلم الاجتماع في دراسة قوانين الفعل ورد الفعل التي تخضع لها مختلف أجزاء النسق الاجتماعي" ويستطرد **كونت** قائلاً "إن أجزاء المجتمع لا يمكن أن تفهم منفصلة عن بعضها كما كان لكل منها وجود مستقل، وعلينا بدلاً من ذلك أن ننظر إليها على اعتبار أنه تربط بينهما علاقة متبادلة وأنها تكون كياناً كلياً يفرض علينا أن نتناولها في علاقتها بعضها البعض". وبصورة أوضح نقول أن الاستاتيكا هي نظرية النظام الذي يشير إلى الانسجام والتوازن بين ظروف وجود الإنسان في المجتمع.

ميز "كونت" بين ثلاث مستويات موجودة في المجتمع الفرد والأسرة والاتحادات الاجتماعية ، التي يقف على قمتها اتحاد الإنسانية نفسها واستبعد الفرد من الدراسة السوسيولوجية حيث ينبغي أن يتكون النسق من عناصر متجانسة فقط وأن الأسرة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية لكنه واجه المشكلة السوسيولوجية التي تدور حول العلاقة بين الفرد والمجتمع، ولاحظ تقارباً مستمراً ومنتظماً في أوجه النشاط التي يؤديها عديد من الأفراد في المجتمع مع أن كل فرد يحيا حياته الخاصة إلا انه يميل تلقائياً إلى المشاركة بين الجميع دون استشارة الآخرين.

انتهى **كونت** إلى أن الأسرة تتمتع بدرجة خاصة من الوحدة وبطابع أخلاقي يميزها عن الوحدات الاجتماعية الأخرى، كما لاحظ عدم وجود درجة كبيرة من الفكر والتصور في حياة الأسرة حيث يتم إشباع الحاجات سريعاً على أساس من التعاطف ومن خلال التنسيق بين الأسر –حتى لو كانت في حالة العزلة– تظهر الاتحادات كالطبقات الاجتماعية والمدن التي تبنى على التعاون الشعوري، ويظهر النموذج السياسي أو الدولي من خلال العديد من الاتجاهات الاجتماعية.

اما الدولة فيشير "**كونت**" إلى أن النظام السياسي نظام مصطنع إلى حد ما ولكنه في نفس الوقت تعديل للنظام الطبيعي للمجتمعات الإنسانية وذلك لأي مجتمع لا يمكن له البقاء دون حكومة، والحكومة

ممكنة نظراً لوجود رغبة واسعة في الحكم والقيادة بالإضافة إلى أنها تخفف عن الأفراد عند اتخاذ القرارات الضرورية لهم والتي تهم كل أفراد المجتمع وأنساقه الاجتماعية.

فالاستاتيكا يدرس هذه النظم في عناصرها ووظائفها بجانب الدراسة الاستقرارية وذلك للكشف عن القوانين التي تحكم الترابط "التضامن" بين النظم الاجتماعية.

وتبدأ الديناميكا الاجتماعية بدراسة النمو –في حد ذاته– أي دراسة قوانين الحركة الاجتماعية والسير الآلي للمجتمعات الإنسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في تطورها أي أنه يدرس الاجتماع الإنساني في عمومه وفي جملته. ومن ناحية تطوره وانتقاله من حال إلى حال.

اعتقد **كونت** أن التطور الاجتماعي هو الاستمرار للتقدم العام الذي يبدأ من مملكة النبات، فالسلسلة الاجتماعية الكبرى تتطابق مع سلسلة الكائنات الكبرى وليس مع تتابع المراحل العمرية لكائن عضوي بسيط ويعد هذا الافتراض عنصراً أساسياً في نسق فكري يؤكد التقدم المستمر، وفي نفس الوقت ذهب إلى فكرة مؤداها أن دراسة التقدم قد أصبحت عملية سهلة جداً طالما أن نمو كل الاجتماعات محكوم بنفس القوانين ولذلك فإن إقامة المبادئ العامة يجب أن تتم عن طريق دراسة ضروب التقدم التي تحققها طليعة الإنسانية ولم يكن للاستاتيك في نظره من الأهمية ما للديناميك، وذلك لأن الأول في نظره يعتمد كثيراً على النظريات الديناميكية، ولا يمكن الوصول إلى القوانين الاستاتيكية الا بعد كشف القوانين الديناميكية في المجتمع، ولذلك فإن كلامه عن الديناميك قد شغل جزءاً كبيراً من مؤلفاته وهو الجزء الجوهري من فلسفته.